

## ٧ - بين القاهرة وطوس

نيسابور الى طوس

للدكتور عبد الوهاب عزام

رجعت من مزار المطار الى قبر الخيام وأنا أنشد قول  
حافظ الشيرازي :

« جاء مرشدنا البارحة من المسجد الى الحانة . . »<sup>(١)</sup>

ولما رجعنا الى قبر الخيام قال بعض الحاضرين من الشرقيين  
كيف تركتم الخيام الى المطار؟ قلت لكل رجل وجهته، وإن  
لم يكن من القياس بد فصاحبنا أعظم من صاحبكم، وأكرم  
حياة، وأجل أترأ. فانصرف ثم عاد الى وهو يقول: ليس أحد  
من المتأدين في الشرق والغرب يجهل الخيام، وهذا أحد الوافدين  
من الأوربيين يسأل من المطار؟ فهذه حجة لي، قلت دعني فاني  
لا أقيس عطاءنا بمعرفة الأوربيين وجهلهم، ومدحهم وذمهم الخ  
دُعينا الى الموائد فطمنا، وتكلم الشاعر الانجليزي  
درنكوتر عن الشعراء ومداهمهم في الحياة وقال: إنه لا ينبغي  
أن يفضل شاعر على غيره بصواب رأيه، وسداد طريقته، بل  
بمقدار إباتته عما أحسه في هذه الحياة، وأدركه في هذا المعترك؛  
نحن لانستطيع أن نفتدى بالخيام فنمضي أوقاتنا بين امرأة جميلة  
وكأس، وعود، فان علينا في هذه الحياة واجبات تأتي ذلك،  
ولكننا لانفرض من قدر الخيام لأنه أبين عن رأيه بهذا الأسلوب  
الشعري الجميل الخ

ثم أنشد قطعاً من رباعيات الخيام كما ترجمها فيتر جبالد؛  
وأنشد أحمد الصراف مندوب العراق بالفارسية بعض الرباعيات،  
وتكلمت فقلت بالفارسية: إننا ممتشطون بخدمنا مدينة نيسابور  
العظيمة، ذات الأثر العظيم في الحضارة الاسلامية، وها نحن  
أولاء بجانب الخيام الفيلسفي الشاعر الكبير، فالى روحه الطاهرة  
منا تحية ودعاء. ولاننسى أن نرسل تحييتنا الى الشاعر العظيم،  
والصوفي الجليل فريد الدين المطار، ذي المآثر الخالدة في الشعر  
والتصوف

(١) شب از مسجد سوى ميخانه آمد بيرما

زهرتي<sup>(١)</sup>

بقلم محمود حسن اسماعيل

ولى زهرة طيبت من عطرها دمي  
وضمخت روعي من شذاها وأنفاسي  
على شاطيء من فيض روعي فتحتت  
وراحت تعب الرئي من نبع إحاسي  
مكللة بالنور تحسب وشيها  
وميضاً من الصبأ يشرق في كاسي  
تميس على قلبي إذا هزها الهوى  
فتفضح بالإدلال ريانة الآسي  
غذاها السنن من زاخر اللعج فاغتدت  
تبليج في هالاتها . . فتنة الناس  
كأني بها نفع من الخلد روتت  
أفاريجه عنى ضنى عمرى الآسي<sup>(٢)</sup>  
بروحى من أنفاسها عطر جنة  
ترأت مجلم رائع الطيف مياس  
وأنداء فجر أنصر الروح نسه  
وطهر بالأعطار إني وأرجاسي !  
بروحى حنان شع من جنباتها  
كما فاض في جئح الدجى ضوء نبراس  
رشفت نيمى شفة من عبيره  
وشردت آلامى على نفعه الآسى !!

(١) من ديوانه « أغاني الكوخ » الذى صدر حديثاً (٢) الحزين

## مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٣٥ قرشاً  
ثمن مجموعة السنة الثانية ( المجلد الأول والمجلد الثانى ) ٧٠ قرشاً  
وثن كل مجلد من المجلدات الثلاثة خارج القطر ٥٠ قرشاً

وإنا نرجو أن تعود هذه البلاد سيرتها الأولى في العلم والأدب، وأن ييسر الله لها السير في سبيل الرشاد في ظل صاحب الجلالة الشاه المعظم . .

فقام الأديب سيف آزاد صاحب مجلة إيران القديمة « إيران باستان » فتكلم وحيًا صاحب الجلالة ملك مصر، وقال إنه قد ساءه أن علم اليوم أن جلالة مريض، وطلب من الحاضرين أن يدعو له بالشفاء والعافية. وألقى الأديب رشيد الياسمي قصيدة من الضرب الذي يسمى في عرف أدباء الفرس غزلاً. وهي مردوفة القافية. والرديف في الشعر الفارسي أن تكرر كلمة بعينها آخر كل بيت، ويبني الروي على الكلمة التي قبلها. والرديف في قصيدة الياسمي كلمة « زو » بمعنى الوجه. وهذه ترجمة القصيدة عفو الساعة:

قد استسر وجهك في كمال الظهور، وصار من التجلي في حجاب من ذلك النور

لا يرى أحد في العالم وجهك، وإن كان العالم مرآتك  
إني أدعوك حبيب الروح. إذ لا يتجلي وجهك إلا في عالم الأرواح

ول وجهك شطرنًا، نحول عن الكون والمكان وجوهنا.  
أبها الربيع لا تستر من العندليب خدك، فقد جعل وجهه كورق الخريف هجرك  
فلا حرارة في هذا القلب المتوقد، ولا بسة في ذلك الوجه المورّد

لقد أمضيت العمر في انتظار وحسرة، وآمل أن يلوح وجهك لي سرّة

أيتها الشمس إلى من الشوق إلى شعاعك الوضاء، أقلب كالللال وجهي في السماء

أبتى أرا من هذا الوجه، ولا أثر، كما ابتى اسكندر ماء الحياة فلم يظفر

إن تبشرني بوجهك يوماً واحداً، وضمت وجهي على عتبتك أبدأ

ان تطلب يارشيد الكبر فأنصب، فان السعادة لا تبدي وجهها لمن لم ينصب

قدّمتنا الساعة خمساً وعشرين دقيقة، وهي فرق ما بين وقت طهران ونيسابور، وركبنا والساعة ثلاث وربع بمد الظهر متوجهين لتلقاء مشهد وبينها وبين نيسابور ١١٦ كيلاً، فسرنا صوب الشرق والجنوب في سهل كثير القرى والشجر، فبلغنا قرية اسمها قد مگه أي موضع القدم، وسأذكرها في الأوبة من مشهد. ثم اجترنا بشريف آباد وعندها انطلقت الجادة صوب الشمال فارتقينا جبلاً ضربنا فيها أربعين دقيقة ثم هبطنا إلى المشهد المقدس، فدخلناه بعد مغرب الشمس

افترق الركب فنزل جماعة بفندق هناك، ونزل آخرون في دار أحد الكبراء، جليل بك نصير زاده، وكنت وزميلي الأستاذ العبادي ممن شرفوا بالنزول في هذه الدار الممورة، فلقينا من الحفاوة والرعاية ما لا ينسى

### المشهر المقدس

في عام اثنين وتسعين ومائة سار هارون الرشيد إلى خراسان لحرب رافع بن الليث بن نصر بن سيار، وكان قد تار بخراسان وأعيان الولاية

وفي صفر من سنة ثلاث وتسعين اشتد به المرض وهو بخرجان فسار عنها إلى طوس، ونزل بضيفة اسمها سنا باز في دار الجنيد بن عبد الرحمن. فلما أحسن أجله أمر بحفر واليه قبراً في بستان الدار، وأمر جماعة فنزلوا فيه وقرأوا القرآن. وتوفي نصف الليل، ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة، ودفن في القبر الذي أعده

وفي سنة ثلاث ومائتين كان الخليفة المأمون بن هارون قافلاً من خراسان يريد العراق، وقد تار عليه عمه إبراهيم بن المهدي، فلما بلغ سنا باز نزل عند قبر أبيه أياماً، وكان معه عليّ الرضا بن موسى الكاظم وليّ عهده، فمات الرضا في ذلك المكان في شهر صفر، فدفن إلى جانب الرشيد وفي هذا يقول دعبل بن علي الخزازي فيما يزعم الرواة:

قبران في طوس: خير الناس كلهم وقبر شرم، هذا من المعجب  
اشتهرت قرية سنا باز وسميت سنا باز المشهد، ثم أطلق «المشهد» على القرية، وبهذا الاسم ذكرها المقدسي وسمها

حوادث أخرى حتى استولى عليها آقا محمد خان القاجارى ، وقتل سلطانها شاهرخ الأفشارى سنة ١٢١٠ . وفى العصر الأخير نأر بها على القاجاريين بمض النافرين فتذرع الروس بهذا إلى الاستيلاء عليها ، فأطلقوا مدافعهم على المدينة فى ٢٩ مارس سنة ١٩٦٢ ، وهى الآن تنال نصيبها من الممران والطائفة السائدين فى إيران اليوم والمدينة على ارتفاع ٩٣٠ متراً وطولها ٥٩ وعرضها ٣٦ ، فى وادى كَشَفْ رود (نهر كَشَفْ) الذى ينبع على عشرين كيلاً إلى الشمال الغربى من طوس ويسمى أحياناً آب مشهد (نهر مشهد) ويصب فى نهر هراة (هرى رود) على ١٥٠ كيلاً إلى الجنوب الشرقى من مشهد ، وتبعد المدينة عن شاطئه سبعة كيلات إلى الجنوب . ويبلغ ارتفاع الجبال عندها ثلاثة آلاف متر . فهى باردة الشتاء ، جيدة الهواء .

ونهر كَشَفْ لا يسقى المدينة ، بل يأتيها الماء من عين اسمها چشمه گلاس عند منبع نهر كَشَفْ فى قنوات طولها ٧٤ كيلاً جرها إليها الوزير الكبير والأديب العظيم والشاعر الملقب شير على نوانى وزير السلطان حسين بن منصور بن بايقرا من أحفاد تيمورلنك - ( المتوفى سنة ٩١٢ هـ )

وهى أكبر مدن خراسان اليوم ، وتسمى أحياناً خراسان وسكانها زهاء سبعين ألفاً وتجارتها رائجة ، ولكنها ليست كمهدا الأول ، فقد كانت ملتقى طرق القوافل قبل أن يستولى الروس على التركستان وينشئوا سكة الحديد القزوينية . وبالمدينة شارعان عظيمان مشجران يحترقانها . وكان بها فى عهد نادر شاه ٦٠ ألف دار . وسكانها الآن زهاء ٨٠ ألفاً

وهى كثيرة المساجد ، والمدارس بها زهاء عشرين مدرسة للعلوم الدينية ، أقدمها المدرسة التى أسسها شاهرخ فى سنة ٨٢٣ ، ويقصدها الطلاب من أرجاء إيران ومن أفغانستان والهند ، فيحصلون العلوم الدينية بها تسع سنين ، ومن شاء أن يزداد علماً توجه إلى النجف الأشرف

ويحج إلى المشهد كل عام آلاف كثيرة يختلف التقدير فيها من ٣٠ ألفاً إلى مائة ألف . وبها مقابر كثيرة يحرس الشيعة على أن يدفوا بها ، فنقل جثثهم إليها من الأقطار البعيدة ، ويختلف قيمة القبور بها على قدر قربها من الحرم وبمدها

إن بطولها مدينة مشهد الرضا ، ونسبت على مر الزمن مدينة « نوقان » وصار اسمها اسم محلة فى المدينة الجديدة ، ونافست مدينة المشهد مدينة طوس فى إقليم خراسان حتى أحلتها . ثم اختفت طوس حين حاصرها ميرانشاه بن تيمور وفتحها فأخربها عام ٧٩١

وقد لقيت المدينة من غير الزمان سعادة وشقاوة ، وتقلبت بها أحوال مختلفة ، ولكن شأنها كان يزداد نباهة على مر العصور

عن عطاء المسلمين منذ القرن الرابع الهجرى بمشهد الرضا والمدينة التى نشأت حوله . قال ابن الأثير فى أخبار السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى : « وجدّ عمارة المشهد بطوس ، وكان أبوه سبكتكين أخربه . وكان أهل طوس يؤذون من يزوره ، فقتلهم من ذلك . وكان سبب فعله أنه رأى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى المنام وهو يقول له : الى متى هذا ؟ فلم أنه يريد أمر المشهد فأمر بعمارة » ثم بنى ابنه السلطان مسعود سوراً حول المشهد ليقيه غارات القبائل المجاورة . وفى القرن السادس الهجرى استولى الفرس على المدينة ونهبوها ولكنهم أبقوا على مشهد الرضا . وكذلك نهب فى القرن الثامن فى عهد السلطان محمود غازان من الملوك الايلخانيين

وأعظم الملوك عناية بالشهد قبل عهد الصفويين السلطان شاهرخ بن تيمورلنك ( ٨٠٩ - ٨٥٠ ) وزوجه جوهر شاد ؛ وسند كرها حين الكلام على مسجدتها العظيم

وكان عهد الصفويين عهد نماء وازدهار للمدينة ، فقد تنافس الملوك الصفويون فى تميم المشهد وتجميله ، وتعمير المدينة كلها ، ولاسيما الشاه طهماسب الأول ( ٩٣٠ - ٩٤٨ ) والشاه عباس الكبير ( ٩٩٥ - ١٣٠٧ ) ، ولكن عناية الصفويين لم تكفها الغارات والنهب ، فقد غصبها أمراء الأريك والشيانية ثلاث مرات على رغم الصفويين وسيطروا عليها أزمنة مختلفة

وكذلك استولى عليها الأفغان حينما استولوا على إيران . ثم جاء البطل الكبير نادر شاه ، فأكثر الأقامة فيها واختط قبره بها ، وبنى فى المشهد الرضوى أبنية رائجة . ثم عادت إلى الأفغان حينما زلزلت دولة نادر شاه بتنازع خلفائه على المرش . وتداولتها